

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية . قسنطينة. الجزائر

كلية اصول الدين . العقيدة ومقارنة الاديان

محاضرات : في (مناهج البحث الحديثة في دراسة الاديان).

من اعداد : أ.د. بشير كردوسي .

المحاضرة الاولى :

ملخص حول المنهج الظاهراتية الذي تناولناه في المحاضرات السابقة :

ان علم الاديان منذ ظهوره من جديد في القرن التاسع عشر ميلادي في اوروبا علي العالم الالمانى ماكس مولر ، بدأت الجامعات والابحاث والدراسات في الغرب الاهتمام وتطبيق عدة مناهج في دراسة الاديان وظهرت عدة مناهج في دراسة الاديان الي ان ظهر الفيلسوف الالمانى اديمنود هوسلر (1859.1938) بفلسفة جديدة تجلت في منهجه الجديد الظواهرية (الفيمونولوجيا) 1 وملخصها في المبادئ التالية :
=(كنه الاشياء في حد ذاتها)و (لا تفكر بل انظر) في اشارة للنظر .

المباشر وهو يجعل الباحثين علي وعييا بافتراضاتهم المسبقة كما يستخدموا النقد الذاتي لتتحية كل التركيبات التي علق في مخيلتهم فيستطيعون بهذا الشكل و المنهج معرفة الطبيعة المجسدة الدقيقة للظواهر من خلال الحدس (époque) الثقافية والدينية المفروضة فوقيا .

واي محاولة فهم الظواهر بطريقة إيجابية علي قدر ماهيتها و طبيعتها (empathy) ويتكامل هذا المنهج مع منهج اخر وهو التقمص .

= الاقتصار علي الوصف و الابتعاد عن اعمال النظريات الفلسفية .

=معارضة اية محاولة لتحديد الظواهر وفق مفاهيم فلسفية معينة او اختزالها في صورة محددة .

= الاهتمام بالنيات وبما ان الموضوعات الخارجية انعكاسات للتصورات الداخلية
فان البحث عن النيات يوقفنا عبي : كيف يشكل الوعي الذاتي الظواهر .

= التوقف عن اصدار الاحكام واجتناب جميع انواع التأويلات او التقييمات .

= محاولة النفاذ الي الحقائق التي تنبئ عنها الظواهر (ينظر لكتاب : في علم الدين
المقارن مقالات في المنهج ل: دين محمد محمد ميرا).

والخلاصة : ان الفيومولوجيا (الظاهرية) عند هوسلر هي علم الوعي و الوعي
يقوم علي الحركة ويتطور بذاته وينزع وهو القصدية ويتحرك للاشياء للظواهر
والظاهرة عند هوسلر هي الماهية عكس مايقول كانط والماهية تنقسم عند هوسلر
الي قسمين : علم الانا الانطولوجيا و هي البحث في الانا في ماهية الانسان وعلم
الوجود الماهوي البحث في علل النفس وليس البحث في العلة الاولي الوجودية .

نتائج القصدية عند هوسلر

1 العقل ليس مغلق علي ذاته ليس خارج علي الوجود

2 العقل متناسق مع الوجود

3 جميع الأشياء تظهر في الوجود علي حقيقتها.

**4 الحكم علي الشيء ليس ترتيب افكار . (ينظر لكتاب هوسلر : فكرة الفيومولوجيا
ترجمة : فتحي انقزو. المنظمة العربية للترجمة) .**

المحاضرة الثانية :

= كما مر معنا في المحاضرة السابقة وان ذكرنا ان علم الاديان او (علم مقارنة
الاديان) ظهر بقوة من جديد في حقل الدراسات الاكاديمية بعد كتاب ابحاث ماكس
مولر والذي سماها بعلم الاديان، ومنه الباحثون في الدراسات الدينية غير اللاهوتية
استعملوا عدة طرق ومناهج في دراساتهم للدين ، لكن وجدوا ان هناك نقصا في
اكتشاف ماهية الاديان واختزالا من طرف المناهج المستعملة كالمناهج التاريخي
وغيره في الدراسات .

ولذلك توجه البعض منهم في دراسة الاديان في تطبيق المنهج الفلسفي الجديد الذي
اتي به هوسلر (المنهج الظاهراتي او الفيومولوجيا) (ينظر الي الكتاب المشار اليه
سابقا : مقالات في المنهج وكذلك الموسوعة العالمية : encyclopaedia
universalis) حول كيفية بدايات استعمال هذا المنهج في الدراسات الدينية .

والذي اصبح يسمى عند بعض علماء الاديان (بعلم الدين الظاهراتي) كما سماه العالم الهولندي (P.D.Chante Pie de la Saussaye) فهو الذي استخدم اول مرة مصطلح (علم الدين الظاهراتي) في كتابه : Hand book of the History of Religion ومن بعده توالى استخدامات المنهج الظاهراتي من طرف علماء الغرب في علم الاديان او تاريخ الاديان .

ادوارد ليهيمان (E . Lehmann)

(عالم دانماركي (1862,1930)، استاذ تاريخ الاديان في جامعة لوند في السويد)

هو من العلماء الذين طبقوا واهتموا بالمنهج الظاهراتي في دراساته للأديان فقد اصدر كتابا سماه (علم الدين) ويقول في كتابه ان الدين الظاهراتي هو الدين المنظور ، اي ان علم الدين الظاهراتي هو ذلك النشاط العلمي الذي يدرس الدين من خلال ظواهره المرئية ، وبذلك فانه فقد جمع وصنف الظواهر الدينية وقام بتصنيفها الي ثلاثة اصناف :

1: الاعمال المقدسة . (كالسحر ، الشعائر التعبدية ، المقدسات ، الاعياد)

2: النصوص المقدسة . (الصلوات ، الاذكار ، المواعظ ، الاناشيد) .

3: الاماكن المقدسة . (الملوك ، رجال الدين ، الانبياء ، رجال التصوف ، الحجاج) . (ينظر للكتاب السابق : مقالات في المنهج) .

ولقد انتقد بعض العلماء ماجاء في كتاب ليهيمان ، بانه يفتقد للرؤية الموضوعية للأديان وانه تعامل مع كل الاديان بالنظرة المسيحية خاصة بحيث عد كل المقدسات من الوثنيات وانه ابتعد عن جوهر بعض الاديان ... ولم يفرق بين ماهو جوهر في الدين و ماهو تفسير وسلوك بشري للتعبير عن الدين .

= كما تعد اعمال احد كبار علماء تاريخ الاديان في العصر الحديث وهو (ميرتسا إياده (مرسيا الياد) (Mircea Eliade) الكثيرة و المتنوعة و التي تعد النموذج العالي في تطبيق المنهج الفيمونولوجي في دراساته .

وقد اهتم الياد() خاصة بأحوال التجربة الدينية باعتبارها انها تختلف عن كل سياق عقلي ، ليس علي المستوي الفردي فحسب بل سعي الي الالمام بتجربة المقدس في

اختلافه مع المدنس عبر مختلف تمظهراته (ينظر لكتاب : علم الاديان مساهمة في التأسيس ل : ميشال مسلان . ترجمة عز الدين عناية وكذلك للمذكرة) .

مميزات المنهج الظاهراتي :

= المنهج الظاهراتي منهج حديث استلهم ادواته من فلسفة ادموند هوسرل باضافة ادوات جديدة تتمشي مع الظاهرة الدينية .

= انه يعد ثورة منهجية في علم الاديان وعلم مقارنة الاديان ، تحتاج خاصة من الباحثين في العالم العربي والاسلامي في حقل مقارنة الاديان الاطلاع عليها و الاستفادة من ادواتها.

المحاضرة الثالثة :

المنهج الوجودي :

المنهج الوجودي هو احد المناهج الجديدة المطروحة في دراسة الدين غير ان نجاحه يتوقف علي الارتباط بالدين نفسه ، فلا تكفي المعرفة المفهومية للدين بل لابد من التوفر علي التجربة الدينية و الارتباط الوجودي بالدين .

وفق هذه النظرية ، تكون الاسئلة و الاجابات الدينية للانسان وليدة ظروفه الوجودية ، ويكون القصصي ، في التحليل الوجودي ، افضل مجال لبيان الاوضاع الحقيقية للبشر ، اكثر من النثر الادبي و الفلسفي الانتزاعي .

يعتقد انصار هذا المنهج بامكانية البحث المنظم و الاصولي حول معني وحقيقة الظاهرة الدينية وذلك عندما يثبت الدين بنفسه انه كيان حي وخالد في حياة البشر ، لامجرد فكرة انتزاعية او نوع نظام حقوقي او اخلاقي نظري وحسب وبعبارة اخرى ، فان اصحاب هذا المنهج ينظرون الي الالدين في مقام التحقق والعينة الخارجية ، اي ينظرون الي الدين وهو يخوض تجربة الواقع ، لا الدين الانتزاعي و الذهني الذي هو سلسلة من العقائد و الاراء والمفاهيم النظرية و التجريدية .

الدين لدي اصحاب المنهج الوجودي يعني : الدين الواقعي الخارجي المتحقق في الخارج و الحاضر في عمق الحياة .

فلا يجب الخلط بين فلسفة الدين التي عبارة عن التفكير الفلسفي و النقدي للمقولات الدينية و بين المنهج الوجودي لمعرفة الدين .

ولا ينبغي التوهم من كلمة الوجودية المستخدمة في المنهج الوجودي لمعرفة الدين . انه يعني : معرفة الدين او فلسفة الدين ، وذلك لان الفلسفة بالمعني الشائع بين المسلمين ، كانت ترد في الغالب معادلة ومرادفة لعلم الوجود ، في حين ان الامر علي العكس من ذلك ، فان انصار المنهج الوجودي لمعرفة الدين ذوو مشرب عرفاني في الغالب ، ولا تربطهم علاقة حسنة بالفلسفة ، و لا يفهمون علم الوجود و البحث عن وجود الاشياء بطريقة فلسفية .

التحليل الوجودي والفكر الديني :

في رأي انصار المنهج الوجودي لا تظهر الاسئلة الدينية مصادفة و اتفاقا وبذاتها في ذهن السائل ، بل ان منشأها ومصدرها يكمن في الاوضاع المقيدة للحياة البشرية :

الغربة عن الذات /المعاناة/ الخطأ/ الذنب / الموت/ وامثال هذه الامور يمكننا الوصول الي معرفة تامة ووعي كامل من خلال تحليل حياة الانسان بالنسبة الي وضعه المتجلي في الفكر الديني ربما امكن القول انه لو لم يشعر الناس بالتقصير و الذنب ، لم يندفعوا الي طلب المغفرة الالهية ابدا ، و لو لم يجربوا الاسر في حبائل الاماني و الغرائز و الشهوات و الالم و العناء و الموت ، لما اظهروا اي ميل نحو الانطفاء و السكوت المبارك في الوصول الي مقام الفناء العرفاني او النرفانا .

وباختصار ، لو ان البشر لم يقعوا في ظروف ودودية خاصة اعم من الفرضية او الواقعية لما قدموا اجابات تناسب العقائد الدينية ، و لهذا اسبب يري انصار المنهج الوجودي ان الاجابات الدينية هي الأخرى نابعة كالأسئلة الدينية من الاوضاع البشرية .

لا يمكن تصور ان يجيب الانسان عن اسئلة من دون ان يكون لها اي ارتباط او تأثير علي حياته ، و لا يجب ان تظهر الاسئلة الدينية و تبرز في قالب مفهومي كذلك لا ضرورة لان تطرح الاسئلة الدينية بصورة صريحة و علنية .

ان تدوين هذه الاسئلة التي تشغل العقل البشري بصورة ملغزة و الاسئلة التي تعكس الاوضاع الوجودية للإنسان ، تفاوتتا عظيما يمكن بيانه بهذا التمثيل : تصوروا رجلا جالسا علي كرسي طبيب الاسنان و يلهو بالمتقب الكهربائي الخاص لقلع الاسنان ، مندهشا ، و تصوروا رجلا اخر جالسا علي الكرسي نفسه ، الا انه يخضع لمعالجة

طبيب الاسنان له بنفس الالة السابقة المؤلمة الوضع الظاهري لكلا الشخصين متشابه تماما ، الا ان وضع كل منهما ، في الحقيقة ان اثاره الاسئلة الفنية والمزاجية الصادرة علي سبيل الفضول ، يختلف تماما عن الاسئلة التي تعكس اوضاع حياة الانسان من اجل اثبات جدية او لا جدية اسئلة اي شخص ، لاي ةجدج طريق اخر في التعقيد و التشابك الحاصل بين وجوده و بين هذه الاسئلة و الجوبة .

وهذا ما يفسر لنا تأكيد انصار المنهج الوجودي ضرورة ان نبدأ دراستنا للدين ب(التحليل الوجودي).

المحاضرة الرابعة :

_ لقد مرنا بنا وان تحدثنا عن المنهج الوجودي واسباب تمسك اصحابه به وتفسيراتهم حول اهميته والفرق بينه وبين الفلسفة و ضرورته لتفسير الدين .

فالتحليل الوجودي عندهم هو : محاولة للمشاهدة والفكر الناقد، بهدف كشف الخصائص الاساسية والصفات الذاتية للوجود البشري ، مثل هذا التحليل يسعى للوصف و الشرح الدقيق للأساليب الاساسية لتجربة الحياة من قبل الانسان ، و باعتماد هذه الطريقة يمكننا توضيح المعني البشري للظاهرة الدينية وحيث ان الاسئلة الدينية تجليات و انعكاسات لإجابة البشر عن حقيقة وجوده ، فان المسائل الدينية للحياة البشرية لها بنیان وجودي لا يمكن انكاره .

ان الارتباك و الاضطراب الملحوظ في المسائل و الاسئلة الدينية من قبيل :لماذا يتعذب البشر ؟ ولماذا كان الشر هو الغالب في الظاهر ؟

هذه الأسئلة لا تعود فقط الي حيرة و اضطراب ذهن الانسان وحده ، بل تتعلق باضطرابه الروحي ، ايضا ، و بناء علي هذا ، فان اهم اهتمام عقلي في دراسة الدين يجب ان يتجه نحو (تجربة) كما ان الاجابات الدينية ينبغي ان تتحدث في الغالب عن الوضع البشري . وهذا بالطبع لا يعني الغاء الدراسات العلمية و التاريخية والمقارنة او الفلسفية عن الدين ، فتلك الدراسات مفيدة و مثمرة جدا ولها دور في المجال المعرفي ، الا انه في مجال الدين ، حيث يكون الايمان هو المطروح للبحث ، و الامر يتعلق بالجذبة الداخلية و الانشداد العاطفي ، لا ينبغي الاكتفاء بالتحقيقات العلمية والفلسفية المحضة ، واغفال البعد الوجودي للبحث .

لا يمكن دراسة الدين كدراسة الظواهر الطبيعية المحضة او الحوادث التاريخية او المقولات الفلسفية . ان الدين يرتبط بأعماق النفس الانسانية و ليس الدين ظاهرة ذهنية محضة ، و ان انطوي علي ابعاد فكرية ومعرفية ايضا .

التقييم :

اهمل هذا المنهج الابعاد الاجتماعية و السياسية و الثقافية للدين في معالجته للدين ،فكانما الدين عند اصحابه ليس سوي احساس فردي نفسي و عاطفي ليس الا ، و انه يفتقر الي الابعاد السياسية و الاجتماعية و الثقافية و العسكرية و غيرها ، وهذا خطأ اساسي و غير مغتفر في فهم هؤلاء المفكرين لماهية الدين ، كما ان الاعتماد المطلق علي الاح الجدية و المفيدة و المعقولة ، ساس الشخصي بصفته جوهر هذه المعرفة ومحورها الاصلي يضر بشدة بالاديان العقلانية و الشمولية كالإسلام خاصة ، و الاديان العالمية الأخرى ، وكذلك الاديان التبشيرية القائمة علي الدعوة و التبليغ ، عامة، و يتعارض بوضوح مع مضمونها المعرفي للحقيقة ، انه لا يمكن الاعتماد عليه في معرفة الدين علي طريقة خاصة فقط ، و تجاهل المناهج الأخرى ، بل لابد من الاستفادة من جميع المناهج في دراسة الجوانب المختلفة ولهذا عارض الكثير من علماء الاديان الدارسة الاحادية للدين ولهذا كذلك يعتقد العلماء في علم الاديان و المقارنة ان هذه المناهج ليست خاطئة في ذاتها ، لكن لا يجب ان تنحصر في الدراسة لوحدها و من امثال تبني هذا الرأي مشاهير علماء علم الاديان وتاريخه من المعاصرين من امثال : رافيل باتاتزيوني الايطالي و يوكو بيانكي و بينان سمارت (ينظر لدراسة : الكاتب الايراني ،همايون همتي) .

المصادر والمراجع :

= في علم الدين المقارن ، مقالات في المنهج تأليف : د. دين محمد محمد ميرا .

= في علم الاديان مساهمة في التأسيس : ميشال مسلان . ترجمة : عز الدين عناية

= دراسة للكاتب الايراني : همايون همتي (بتصرف).

= . encyclopaedia universalis

= محاضرة مسموعة عن طريق وسائل السمعي (الظاهرتية : د.توفيق شومر) .

= ميرتشا إلباده (9 مارس 1907 - 22 أبريل 1986) رومانيا، مؤرخ أديان وكاتب قصص خيالية وفيلسوفًا وأستاذًا في جامعة شيكاغو. كان مفسرًا رائدًا للتجارب الدينية، إذ أسس نماذج في الدراسات الدينية استمرت حتى يومنا هذا .